



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

دراسات أولية : المرحلة الثالثة

المادة : الأدب الأندلسي

عنوان المحاضرة: (أشهر شعراء الأندلس : الشاعر ابن دراج القسطلبي)

أستاذ المادة: أ. د فائزة رضا شاهين

أشهر شعراء الأندلس

الشاعر ابن دراج القسطلبي (متبني الأندلس ٣٤٧ - ٤٢١ هـ)

حياته:

أحمد بن محمد بن العاصي بن دراج، ويكنى بأبي عمر، ويلقب بالقسطلبي نسبة إلى مدينة قسطلبة، وهي بلدة تابعة تقع لجيان، ولمكانة أسرة الشاعر نسبت المدينة إليهم (قسطلبة دراج). وتتنمي أسرته إلى قبيلة صنهاجة البربرية ولكن ابن دراج رغم انتسابه إليهم لم يذكر نسبه في شعره، ولم يمدح ملوك بني زيري الصنهاجيين في غرناطة، ولذلك فخرت الأندلس به ولقب بمتبني الأندلس ولد سنة ٣٤٧ هـ في عهد عبد الرحمن الناصر، وعاش طفولته وصباه في عهد الحكم المستنصر، الذي بلغت الأندلس في عصره. عصرها الذهبي. وقد ادرك شاعرنا نصيبه العلمي في حلقات العلم في جيان، وان تذوقه المبكر الأدب كان يحمله على متابعة ماكانت قرطبة تموج به من اخبار علمائها وأدبائها وان يشق طريقة بينهم ليكون أبرز شعراء الأندلس لم يصل إلينا شيء من قصائده الأولى، إذ ان اقدم قصيدة وصلت إلينا تمثل مرحلة نضجه الشعري، وهي تقصل بمدح المنصور العامري سنة ٣٨٢ هـ، وقد عارض بها قصيدة صاعد البغدادي، ومطلعها:

أضاء لها فجر النّهي فنّهاها عن الدنف المّضنى بحرّ هواها

هي قصيدة طويلة، جاءت في ديوانه مستهلة وهي أول ما انشد في مدح المنصور والقصيدة تجري على تقاليد الشعر العربي، حيث يستهلها بمقدمة غزلية ثم ينتقل إلى وصف الرحلة وقد ترك خلفه افراد أسرته قائلاً:

والله عزمي يوم ودعت نحو هنفوساً شجاني بينها وشجاها

وربة خدر كالجمان دموعها عزيز على قلبي شطوط نواها

وبنت ثمان مايزال يروعني على الناي تذكري خفوق حشاها

ويصور نزاع أسرته إليه وشدة تعلقه بهم، وتستغرق هذه المقدمة جلاً ابیات القصيدة لينتهي إلى مدح المنصور، ويبدو أن القصيدة كانت لها أصداء لدى شعراء العصر ممن قريهم المنصور بن أبي عامر فساعت به الظنون، واتهموه بانه منتحل، ولا يستحق ان يثبت اسمه في ديوان العطاء، وقد اختبره المنصور فبرع وبرز وثبت في ديوان الشعراء. وفي ذلك يقول

حسبي رضاك من الدهر الذي عتبا وجود كفيك للحظ الذي انقلبا

من بعد ما اضرم الواشون جاحمة كانت ضلوعي واحشائي لها حطبا

ودسسوا لي في مثني حباثلهم شنعاء بت بها حرّ ان مكتبا

وفيها يشير إلى التهمة التي وجهت اليه، ويرد فيها على اقوال الوشاة وهو في ذلك لا يختلف عن كبار الشعراء امثال امرىء القيس والاعشى ويتضمن ديوانه عدداً كبيراً من قصائده في مدح المنصور ومن بعده ولده المظفر، ومما يذكر ان المنصور أمره ان يعارض قصيدة أبي نؤاس في مدح الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر وهي القصيدة التي أولها:

أجارة بيتينا ابوك غيور و ميسور ما يرجى لديك عسيرُ

وكان المنصور شديد الاعجاب بهذه القصيدة، اقترح على صاعد البغدادي أن يعارضها فأبى اجلالاً لأبي نواس ولصعوبة الأمر، ولكن المنصور الح عليه فجاءه في اليوم الثاني فانشده

جدال الشرى اني بكنْ بصير طو تكن عني خلسةً وقتيرُ

وأجرى المنصور الاختبار نفسه على ابن دراج فنظم قصديته وأولها:

دعي عزمات المستضام تسييرُ فتنجد في عرض الفلا وتغورُ

وقد بلغت هذه القصيدة شهرة واسعة في المشرق والمغرب، وهي تمثل بواكير نزعة المعارضة في الاندلس. وتحل الفتنة بقرطبة وتوقف شاعرية ابن دراج وينتقل الى بلاط ملوك سرقسطة فيمدح المنذر بن يحيى سنة 408 هـ ويمضي 10 سنوات في كنف المنذر وولده يحيى يستعيد نفسه الشعري ، فيؤرخ انتصاراتهما وابرز المناسبات في بلاطهما ، ولكنه لم يلبث أن يغادر إلى بلاط مجاهد العامري في دانية فيلبث سنوات حياته الأخيرة اذ يدركه الاجل عام 421هـ

ديوانه وابرز موضوعاته الشعرية:

ظلت معلوماتنا في شعر ابن دراج محدودة حتى عام 1961م حيث صدرت الطبعة الأولى من ديوانه وقد شار المحقق الدكتور محمود علي مكي في مقدمة الديوان الى انه اول ديوان ينشر لشاعر اندلسي متقدم وكانت الاحكام الأدبية حول الشاعر وشعره تعتمد على النقول والاختبارات والآراء التي قام بها مؤرخو الأدب الاندلسي وإذ اردنا الحديث عن موضوعاته الشعرية فالمدح هو الركن الأساسي في موضوعاته وان جل قصائده تركزت في مدح ملوك الاندلس وفي مقدمتهم محمد بن عامر ومنذر بن يحيى وعدد من الملوك والوزراء والرؤساء والقضاة اما القصائد الأخرى فتتناول موضوعات أخرى كوصف الطبيعة والرياء وهي لا تتجاوز عشرين قصيدة ونلاحظ ان قصيدة المدح كانت قصيدة منسجمة مع روح العصر وظروف الشاعر وهي تمثل الممدوح في صورة رائعة يجسد من خلالها معالم القيم الخلقية والملاحم الشخصية الاسلامية ومن هذه القيم التي ذكرها في قصائده توقيير حماة الدين وخليفة المسلمين والدعوة الى الجهاد في سبيل الله وإقامة اركان الدين وانتصار معاني الايمان على الشرك والظلاله ونفي العقائد الباطلة وتمجيد البطولة في الأشخاص الممدوحين وتمثلهم من بقيادة المسلمين ومن الخطأ الظن ان ملكة الشاعر قد قصرت عن النظم في موضوعات الشعر الأخرى ، كما حصل لعدد من شعراء

إذا سابتت شاو الرياح تخيلت

خيولاً مدى فرسانهن خيول

اراقم تقري نافع السم مالها

بما حملت دون الغواة مقبل

3- شهرته وخصائصه الشعرية

يعد ابن دراج أحد المتقدمين بين شعراء عصره وبابها به مؤرخو الأدب ونقاده من مشاركة واندلسيين هذا ابو منصور الثعالبي (٤٢٩ هـ) صاحب (يتيمة الدهر) يقول: ((كان بصقع الأندلس كالمثني بصقع الشام وهو من الشعراء الفحول))، ابن حزم (456هـ) يقول فيه ((لو قلت انه لم يكن بالأندلس اشهر من ابن دراج لم أبعد))، وقال ايضا ((لو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا حمد بن دراج لما تأخر عن شا وحيب والمثني)) ، ويتصل الاعجاب به بعد حوالي قرنين من وفاته حتى يشهد الشقندي المتوفي سنة (629 هـ) في معرض المفاخرة بأدباء الاندلس ويذكر فضائلها بما للشاعر من براعة وتفوق في لائته التي عارض بها ابا نواس .

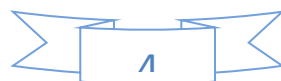
اما النقاد المحدثون فقد افردوا له صفحات وافية في دراساتهم اذ يرى فيها احمد ضيف شاعرا فطريا وهو مقلد بارع وجاء احمد امين فيتهمه بالتقليد بدافع الرغبة في تأكيد الذات الاندلسية وقد رد عليهم الدكتور أحمد هيكل وجاء بطريقة طريفة ومحاورة علمية، وقد تناول اشعاره بالدراسة الدقيقة، ثم انتقل إلى أبرز سماته الفنية، ووجدها تتمثل في خمس الون المحلي، والشعور الأسري، والتحليل المعنوي، والوصف النفسي والنضج الثقافي . وقد نعت به الشاعرة (شاعر الحب الاسري وشاعر الاسرة) .

اما الدكتور احسان عباس فقد وجد سمات شعره تتمثل في ست وهي : ميله إلى المقايسة في قصائده أين زعته وتعلقه بالصورة الواحدة والحاحه على جوانبها حد الملل. وسيطرة الصور الحزينة على شعره ويعلل ذلك بانه نوع من التعويض لانه كان عاجراً عن المشاركة في الحرب، واستخدامه أساليب فنون البديع من طباق وجناس، وميله إلى المطابقات في الفاظه واكثره من الاشارات التاريخية على طريقة أبي تمام وميله إلى المعاني المعقدة بحيث تصبح عسيرة الحل تتطلب صبراً في اعماقها، ويبدو ذلك في استعارته المستخدمة في قصائده .

وقد اصدر بعض المستشرقين ومنهم (غارسيا غومس) رأيه في الشاعر ووجد لغته صعبة معقدة عسيرة على الفهم، وشبهه بالشاعر الاسباني (جنجرة)، ولا ننكر أن لغة الشاعر جزلة الالفاظ متينة التراكيب لكنها ليست معقدة. يتميز ابن دراج بصفتين رئيسيتين تطغيان على معظم قصائده وهما:سعة ثقافته الشعرية : استطاع الشاعر أن يوظف ثقافته الاسلامية في شعره خير توظيف، وقد استمدها من منابع الثقافة العربية الاسلامية كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والامثال العربية، والتاريخ الإسلامي، وديوان شعر العربي. ومما يؤكد عنايته بلغة شعره الى درجة التنقيح والتجويد ما روي ان المنصور بن ابي عامر لما فتح شنت ياقب طلب منه بانشاء كتب الفتح فقال : لا يتم لي ذلك في اقل من يومين او ثلاثة مما يدل على انه كان معروفاً بالتنقيح والتجويد، ومن نماذج شعره وهو يخاطب المنصور

وفي يديه لواء الشعر إن ركبا

إن امرأ القيس في بعض لمتهم



خبراً وقد قيل والاعشى اذا شربا

والشعر قد أسر الأعشى وقيده

ومن تنقى لنصر الدين وانتخبا

وصفوه الله من انصار دعوته

هود وحيث تلاقت خندق وسبا

حيث اعترى فخر اسماعيل في سلفي

ان ديوانه كان مرآة صادقة لأحداث عصره، فقد تفاعل مع تلك الأحداث، وصوّر لنا ابعادها السياسية، فقد كان ديوانه تاريخاً دقيقاً لغزوات ممدوحه المنصور بن أبي عامر وهي اثنتان وخمسون غزوة في ممالك اسبانيا، وقسم من شعره في تصوير احداث ممدوحه المنذر بن يحيى التجيبي بعد فتنة قرطبة ، ومن هذه الأحداث قيام العلاقات الدبلوماسية بين المنذر بن يحيى وبين (ابن ميرو) وكذلك عقد المصاهرات بين ابن فرنلند وابن ريموند). فمن ذلك قصيدته التي يخاطب فيها المنذر بعد ايابه من الغزوة التي عقد فيها تلك المصاهرة قوله:

وجرت برفعة قدرك الأقدار

عمرت بطول بقاءك الأعمار

نور وعلى (ابن شنج) نار

بهرت فهن على (ابن يحيى) في الوغى

امل تقسم نفسه وحذار

ودنا ابن ردمير يزلزل خطوة

إلا اليك من الحمام فرار

ولقبل ايقن فرنلند ما له